الوجدان الداخلى ، وعلى هذا النحو اتهم العقاد فهم البلاغة المتوارث للغة ، وقال فى عبارة لا تخلو من صراحة إن البلاغة أخطأت الطريق الى نشاط الكلمات . ليس للكلمة معنى ثابت ، وليس المنجل شكلا معلوما ولا هو حصاد فحسب ، الكلمة مجموعة قوى كثيرة ، واذا استعمل لفظ المنجل فى الحصاد فمن الواجب أن نتذكر أن الحصاد غير المنجل ، وعلى هذا النحو تتعقد العلاقة بين الكلمات ومعانيها ، بين الكلمات ومعانيها علاقات لاتنتهى عند التطابق والالتزام اللذين احتفلت بهما البلاغة ، الكلمات تغيب ، والغيبة لاتتضح فى باب التطابق والتجاور والتلازم ، هذه علاقات الإثارة التى شنع عليها العقاد على الدوام ، الكلمات حرة ، نعم ، تتحرر الكلمات أو يتحرر الشاعر أحيانا من سلطان الكلمات ، هذا التحرر لم يتح له الوضوح فى البلاغة العربية .

نحن حين نتعامل مع لفظ المنجل مثلا نتناسى أن من الممكن أن يعبث هذا اللفظ ببعض معناه ، أو الحصاد ، ونتناسى أيضا أن الحصاد لايطابق المنجل ، ولايلزم عنه على الدوام ، على هذا النحو دعا العقاد بطرق مختلفة خفيت على كثير من القراء الى أن الشاعر يحارب بعض سلطان الكلمات ، كان مالارميه يقول إن الشعر يصنع من كلمات ولايصنع من أفكار ، لكن هذه العبارة قد يساء تأويلها ، فالتنافس بين الكلمات والأفكار ليس بالتنافس الذى تستحيل فيه الكلمات الى ملوك طغاة أو حكام مستبدين . هذا الاستبداد يتجلى أحيانا من ثنايا البلاغة .

أهم شىء فى نظر العقاد أن الكلمات مواقف إنسان . ليس للكلمات وجود موضوعى بمعزل عن الإنسان ، الإنسان يصنع الكلمات ليصنع مواقف أو اتجاهات ، ومن خلال لفظ المنجل قد يعبر الإنسان عن موقف معين من فكرة الحصاد ذاتها . وعلى هذا تظل الكلمات ضبابا حتى يستعملها الشعراء ، فإذا استعملها الشعراء صنعت ثقافة الشعوب ، وغابت الكلمات آخر الأمر لأننا لا نعبدها ، غابت من أجل أن تتيح الفرصة لظهور غيرها من الكلمات ، وعلى هذا تبطل فتنة اللغة التى هام بها شوقى وهامت بها البلاغة وبعض أطوار الشعر العربى بوجه عام .

لا محالة كان العقاد يدعو من خلال هذا كله الى قراءة ثانية للشعر العربى لاتخطر لكثير من الأذهان ، إن الكلمات آخر الأمر إذا استعملت فى الشعر جعلتنا نعيد اكتشاف الأشياء التى ترمز اليها ، لكن البلاغة وشراح الشعر من القدماء وكثيرا من المحدثين